# الفصل الثالث

## العولمة وسياق الوعى الكوكبي

## "الايديولوجيا والقيم الكونية "

مقدمة :

كما أن للعولمة " الرأسمالية " دور رئيسى فى إعادة تشكيل البنية الطبقية على مستوى كوكبي ، فإن لها دور آخر فى إشاعة وتكريس أنماط من الوعى الكوكبى ، الحقيقي والزائف على حد سواء • وبوصفه وعيا كوكبيا فهو متعدي للجنسية ، وهو ينطوى على مستويات متعددة ، تبدأ بالإدراك الآنى المباشر وتنتهى بالوعى المتبلور ذى الطبيعة الاستراتيجية • هذا الوعى ينصب بالأساس على فلسفة ، واستراتيجيات ، وآليات عمل النظام الرأسمالى الكوكبى على كافة أصعدته الاقتصادية ، والسياسية ، والايديولوجية ، وكذا مضاداتها وبدائلها •

يتولد هذا الوعى – فى أكثر جوانبه أهمية – نتيجة لعمليات ممتدة من الصراع بين المصالح المختلفة للبشر ، الذين يتفاوتون فى كم ونوع استفادتهم من نمط الانتاج الرأسمالى المعولم ، وفقا لمواقعهم داخل نطاق بنية طبقية متعدية للجنسية • فكما أن هناك شرائح وجماعات طبقية رأسمالية ووسطى معولمة تمارس هيمنتها على مستويات اقتصادية ، وسياسية ، وايديولوجية ، فإن هناك جماعات وشرائح طبقية أخرى ، عمالية ووسطى تقليدية ، تمارس عليها عملية الهيمنة هذه بكافة مستوياتها •

حيث يلعب ( المكون الايديولوجي ) المصاحب للعولمة الرأسمالية دورا بالغ الأهمية فى محاولة لتكريس انماط بعينها من الوعى الكوكبى المعولم ، وضمان الحفاظ على مصالح المهيمنين عليه •

هذا ولا ينطوى الوعى الكوكبى على نمط واحد بعينه ، كالذى نتحدث عنه فى هذا الصدد بوصفه النمط المهيمن ، وانما ينطوى على أنماط

أخرى مضادة له تعمل على طرح قيم وأفكار وسياسات مناهضة ، وفى بعض الأحيان بديلة ، وان تكن فى مراحلها الجنينية ، كتلك الحركات الاجتماعية – السياسية التى تطرح ما يطلق عليه : العولمة من أسفل ، والتى سبق أن تناولناها فى الفصل الأول من هذه الدراسة .

ورغم أن هناك دراسات عديدة تناولت موضوع ( العولمة الثقافية ) ، والتى تبث من خلالها قيماً عديدة تتفاوت فى درجة تبينها للأيديولوجيا الرأسمالية المعولمة ، فإننا لا نكاد نعثر على دراسات امبيريقية تركز على دراسة أنماط الوعى الكوكبى ، وفى القلب منه ، دراسات القيم الاجتماعية لدى الشرائح والجماعات الطبقية المعولمة " متعدية الجنسية " وهو ما أقره أحد أهم المنظرين فى هذا المجال حين ذكر : " ان مسأله (الوعى الكوكبى ) ماتزال محل جدال ، فهى تعد بمثابة سؤال امبيريقي مفتوح ، ذلك أن أحدا من منظرى العولمة العديدين لم يدرسه دراسة فعلية [١] ".

ومن ثم ، فقد يكون من الملائم بالنسبة لنا فى هذه الحالة ، أن نمهد لدراسة تحولات أنساق القيم الاجتماعية – بوصفها تعد أهم مكونات الوعى الكوكبى – لدي الشرائح والجماعات الطبقية المعولمة ، بإستعراض للمشهد الثقافى العالمى الراهن ، بما ينطوى عليه من تناقضات تولدت بفعل عملية العولمة ، نتلوه بمناقشة لتحولات أصابت بعض الرؤى العامة ذات الصلة بأحكامنا واختياراتنا للأشياء فى المواقف المختلفة ، ومنها تنتقل إلى استعراض لبعض الاجتهادات البحثية التى قاربت موضوع القيم ، وان يكن من منطلقات كونية Universal بإعتبارها تمثل توقا إلى وجود منظومة قيمية انسانية " مثالية " ، فى مقابل أخرى ذات طبيعة مغايرة تفرضها العولمة " الرأسمالية " .

---

[1] L.Sklair, Globalization, capitalism and Altetnatives, Third Idition, oxford university Press, oxford 2002,p:3 .

*أولا : المشهد الثقافى العالمى الراهن :*

انطلاقاً من الدور النشط للعولمة الرأسمالية فى تكثيف عمليات التواصل متعدى الجنسية عبر الكوكب على مستويات متعددة : اقتصادية ، وسياسية ، وثقافية ، ايديولوجية ، نجد أن السمة الأكثر بروزا للثقافة العولمية متمثلة فى التسليع بكافة صوره وأشكاله ، " ففى غمار التطورات المستحدثة للعولمة تسقط الثقافة ضحية للشكل السلعى الذى يقود عملية تسويق الحداثة • ومثلما حدد ( بودريار Boudrillard ) الرأسمالية بوصفها النظام الذي لاحدود فيه للقيمة التبادلية ، تتطور الثقافة لتفقد قيمتها الاستعمالية، لصالح قيمتها التبادلية التي لاتضع في اعتبارها الحدود الوطنية لأى من البلدان على مستوى العالم ، خاصة النامى • وهي تعمل – فى هذا الصدد – على انعاش ذاتها بقوة وسائل الاعلام والشركات متعدية الجنسية [1].

لاتتم هذه العمليه قهراً وفرضاً في كافة الأحيان ، بل إن أحد أهم آليات التغلغل الثقافى الناجح على مستوى كوكبي ، تتمثل في جاذبية ما يطرح ويتم الترويج له بوصفه الأفضل •

ولا تتخذ عملية العولمة الثقافية الشكل التنميطى تماماً ، بل تتم الاستفادة من بعض الخصوصيات الثقافية المحلية التي قد تسهم فى انجاح وزيادة فاعلية الأنماط الثقافية المطروحة وتنويع صورها •

وفي هذا يذكر ( رايموند لي R. Lee ) : " تترافق عملية خلق الأسواق واسعة النطاق مع التسليع المكثف للثقافة ، التى تستعمر بدورها وقت فراغ الناس على اتساع الكوكب • وهو ما يتم من خلال التركيز على الانتفاع بعوالم الحياة وخصوصياتها في المجتمعات المحليه ، وذلك بهدف

---

[1] Raymond Lee, Globalization and cultural change, current sociology, Vol 42. Summer, 1994, p:27.

تسهيل الاختراق السلعى ، بكافة أشكاله وأنواعه ، سواء أكان ماديا أم رمزياً.

بإختصار ، تتيح عملية التفاعل مع المجتمعات المحلية التقليدية الوسائل من أجل تفعيل الأسواق السلعية الكوكبية [١] .

وإذا ما كان هذا الاختراق ، الثقافى بالأساس ، يتم بسهولة ويسر فى بعض المجتمعات ، فإنه يجد من الصعوبات والتعثرات فى مجتمعات أخرى ما يجعل بعض الباحثين أمثال ( باومان Bouman ) و( كاسلز Castells ) يحذرون من حالة الفصام البنائية بين منطقين مختلفين • يتمثل الأول فى ساحة التدفقات الكوكبية للسلع الكوكبية ، فى حين يتجسد الآخر فى المواقف اليومية للحياة المحلية • وهو ما يفضى إلى حد تقرير أننا قد نتجه نحو الحياة فى عالمين متوازيين لاتتلاق أزمانهما علي الاطلاق [٢] .

هذا ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن هذا المجتمع " المحلى " ليس واحداً موحداً على مستوى العالم ، بل إن للتباينات بين مجتمع وآخر ، دور فى كيفيات التعامل مع العولمة الرأسمالية ، خاصة على مستوياتها الثقافية •

حيث ترتبط عملية الجدل بين الكوكبي والمحلى ، بنوعية المجتمع المحلى ذاته ، ومدى ما يتمتع به من تكوين ينزع نحو أن يكون بسيطا أو معقداً. فما يصح بالنسبة لمجتمع ذا تكوين تاريخي ثقافي بسيط نسبيا ، لاينطبق بالضرورة على آخر يتمتع بحضارة انسانية فاعلة تاريخيا ، ورسوخ ثقافى ، وقدر من خبرات التعامل مع الثقافات الخارجية وهضمها واستيعابها • " فالمجتمع الذي يدخل كطرف فى فضاء عملية العولمة ، خاصة اذا كان مركبا ومعقدا وقديما ، له تكوينه الاجتماعى وميراثه السياسى والثقافى الخاص ، كما أن له مشاكله وجدول أعماله وعلاقاته الداخلية على

---

[١] Ibid, p:33 .

[٢] James Slevin, The Intetnet and society, Polity Press, canbridge, 2000,pp :198-201 .

الأصعدة الطبقية والسياسية والثقافية ، هو بهذا المعنى ، لايتشكل من جديد ولا يولد مع عملية العولمة، ليس مجرد مادة خام تشكلها عملية العولمة وفقا لقوانينها وبدون ارادة منه . والأحرى أن هذه العملية تظهر في كل مجتمع محدد بالكيفية التي تتيحها تشكيلة المجتمع ذاته : ميراثه ، وتقاليده ، وميوله ، ونزعاته ، وخصائص ثقافته ، والتوترات الكامنة فى تكوينه الاجتماعى. وهي تتفاعل مع سياسات الدولة فى هذا المجتمع ، كما تطبقها النخب الحاكمة والجهاز البيروقراطى للحكومة فى مرحلة ما [١] .

وعليه ، فإن ثمة أشياء مشتركة يفرضها تطور الرأسمالية فى الثقافة وفى علاقات الانتاج ، وثمة أيضا أشياء متمايزة تخص كل نظام ثقافى على حدا ، ولا يتعلق تغيرها بضرورات تطور الانتاج الرأسمالى وحده ، بل انها قد تكيف هذا التطور وتمنحه طابعا خاصا فى الواقع الملموس . وعلينا أن نحدد بدقة أشكال ودرجات الالتقاء المتوتر بين النزعات العميقة فى الثقافة من ناحية ، وضرورات تطور الرأسمالية ، وبالتالى العولمة من ناحية أخرى [٢]

واذا كان للإعلام الكوكبي المتحالف مع الشركات متعدية الجنسية دور هام فى عولمة الأنماط الثقافية والحاملة لقيم ، وعادات ، وسلوكيات ، وأساليب حياة بعينها ، فإن للشرائح والجماعات الطبقية المعولمة فى المجتمعات المحلية الدور الأكثر أهمية فى تبني وإعادة بث هذه الأنماط الثقافية وجعلها ممكنة ، وقابلة للتطبيق وفقا لإيقاعات مختلفة .

هذه الشرائح الطبقية المعولمة التى تصبح بحكم موقعها المهيمن ، بمثابة القدوة والمثال ،والتى يصبح الاقتراب من أساليب حياتها ورؤاها مقياسا للنجاح أو الفشل .

---

[١] محمد السيد سعيد ، العولمة والقيم الثقافية فى مصر " الآثار والمواجهة ، كتاب قضايا فكرية ، القاهرة ١٩٩٩ ، ص ١٧٠ .

[٢] المرجع السابق ، ص ص ١٦٨ – ١٧١ .

يفرض علينا ذلك ، ونحن نحلل العلاقة بين أنماط القيم الاجتماعيه الكوكبية المؤسسة على بنية طبقية متعدية الجنسية ، أن نضع فى اعتبارنا جانبا على قدر كبير من الأهمية ، وهو المتعلق بخصوصية البنية الطبقية ، أنماط وجودها ووعيها ، فى كل مجتمع من المجتمعات . فصحيح أن هناك شرائح وجماعات طبقية معولمة " متعدية الجنسية " تتشارك وتتواصل على مستويات متعددة ومختلفة ، إلا أن درجة تبلورها ، وفاعليتها ، ومشاركتها ترتبط إرتباطا وثيقا بنوعية المجتمع الذى تنتمي إليه فى الأساس والمنشأ، وكما أن العناصر الثقافية المتعددة تتباين فى درجة عمقها وتجذرها وانتشارها من مجتمع لآخر ، فإن لهذه الوضعية ذاتها تأثير واضح على كافة تكوينات وتشكيلات هذا المجتمع ، سواء أكانت تقليديه أم حديثة " متعديه الجنسية " ذلك أن هذه التشكيلات والتكوينات الاجتماعية الطبقية هى نتاج لصراعات متعددة بين المحلي والكوكبي ، حيث تفضي هذه الصراعات الي اكسابها طابعها الخاص المميز فى كل مجتمع من المجتمعات على حدا . وهو ما لاينفى – بطبيعة الحال – وجود سمات وخصائص عامة مشتركة بين الشرائح الطبقية المعولمة ، خاصة على مستوى وجودها ، بيد أن أنماط وعيها – بحكم مرونتها النسبية – تتداخل فى تشكيلها عوامل عديدة لاتقتصر على ما هو كوكبي ، بل انها تنطوى بالضرورة على ما هو محلى ، وقد يكون بالغ التقليدية فى بعض الأحيان .

يحدث ذلك نتيجة لتداخل أنماط الانتاج وتفاعلها على مستويات مختلفة ، إلى الدرجة التى لا نستطيع عندها تقرير أن نسقا قيميا اجتماعيا بعينه يعد نقيا خالصا بذاته ، بل هو متفاعل ومتقاطع مع أنساق قيمية اخري متعددة ذات منطلقات وأطر مختلفة .

لاتسير العملية إذن فى شكل خطى على اطلاقها ، حيث أنه من الملاحظ " أنه بقدر ما تتعولم أساليب الحياة ، والأذواق ، يزاد الاصرار –

لدى البعض – على التمسك بالقيم المحلية التقليدية ، كالدين ، واللغة ، والفنون ، والآداب القومية [١] .

وفضلا عن ذلك ، ومما يزيد من الالتباس فى هذا الصدد ، وجود مؤسسات متخصصة ، حكومية وغير حكومية فى الغرب . مركز العولمة – تكرس جهودها ن المادية والفنية ، من أجل حماية التراث الأدبى والفنى ، فضلا عن الأثرى فى العديد من بلدان العالم النامى ، انطلاقا من أن ذلك التراث لايخص بلدا أو مجتمعا بعينه ، وانما هو جزء من التراث الإنساني الحضارى الشامل ، وان ذلك يستدعى حماية ما هو متواجد منه ، ومحاولة بعث ما اندثر منه أو قارب على الاندثار .

ورغم ان هناك من يصور الأمر على أنه عبارة عن رغبة وارادة مطلقة لطمس الهويات والقيم ، ومحاولة فرض نسق قيمى موحد على الجميع [٢] ،فإن علينا أن نتفهم بقدر أكبر من الوضوح ورحابة الرؤية أن هناك نمط انتاج رأسمالى مهيمن يحاول أن يشيع قيمه المختلفة ، والتى فى القلب منها القيم الاستهلاكية ، وهو يصادف نجاحا طالما لايجد المقاومة الفاعلة التى تطرح بديلا ذا قيمة [٣].

ولكن ورغم كل ذلك ، فإننا لانستطيع أن نغفل أن هناك هامشا للمنافسة / المقاومة يتسع بقدر العمل الفاعل على هذا الصعيد [٤]، وإلا ما نجحت وانتشرت المطاعم الصينية ، واليوجا اليوذية ، والافلام والاغنيات الهندية ، فضلا عن السينما الايرانية ، وكذا موسيقى الراي الامازيغية ،

---

[١] جون نيصبات ، الاتجاهات الكبري عام ٢٠٠٠ ، سلسله ا لدراسات المستقبليه ، مركز دراسات العالم الاسلامى ، مالطا ، ١٩٩١ ، ص ص ١٣٠ – ١٣١

[٢] عبد الاله بلقزيز ، العولمة والهويه الثقافية ، المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد ( ٢٢٩ ) مارس ١٩٩٨ ، ص ص ٩١-٩٩

[٣] Craig Runde, what Values will Guide our future in An era of Globalization? P:1 (www.ru.org/runde – 113)

[٤]Kevin Danaher, People's globalization vs.elite globalization, international socialist Review, Issue 19, Iuly – August 2001, pp 1-2. (www. Isreview. Orglissues/19/ Kevindanaher. Shim )

والايقاعات والرقصات اللاتينية ٠٠ الخ وكلها من جواهر الثقافات الواقعة في العالم غير الغربى ٠

**ثانيا : العولمة وتحولات الرؤى العامة :**

فى ظل هذا المشهد الثقافى العالمى ، الذى ينطوى على قدر من التناقض المتولد عن تفاعل السياقين ، الكوكبي والمحلي ، وعلى مستوى أخر من التحليل لتأثيرات العولمة – خاصة فى جانبها الاتصالى المعلوماتى – على مجمل أفكارنا ، وقيمنا ، ورؤانا ٠٠٠ ، نناقش جانبا من التحولات التى طرأت على بعض الرؤى العامة ذات التأثير على مجمل أحكامنا واختيارتنا ، والتى تعبر فى محصلتها النهائية عن المفهوم المحورى فى موضوعنا الأساسي ، وهو تحولات أنساق القيم الاجتماعية ٠ منطلقين فى هذا من مفهوم للقيمة بوصفها : " حكم عقلى و/أو انفعالى على أشياء مادية أو معنوية ، يوجه الأفراد فى اختياراتهم بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة (١) ٠

هذا ويعد رصدنا للتحولات التى طرأت على هذه الرؤى العامة بمثابة استكمال لجوانب أخرى من المشهد الثقافى العالمى ، الذى أعادت العولمة تشكيله على مستويات مختلفة ٠

ونتركز مهمتنا فى هذا المقام على مناقشة لثلاث رؤى عامة أساسية تتعلق بالنسبية ، والحدود الفاصله، والعالم المحاكى ، وذلك على النحو التالى :

١- من المعلوم أن العالم قد مر بمرحلة يطلق عليها ( المرحلة النيوتونية ) – نسبة الي نيوتن – وهى بمثابة نسق كامل متكامل يحلل العالم ويفسره من كافة جوانبه ٠ هذا النسق النيوتوني الكونى اتسم بالشمول وبإطلاقية الحكم على الاشياء – مادية وغير مادية – بدرجة كبيرة ، وعلى كافة

---

(١) سمير نعيم أحمد ، أنساق القيم الاجتماعية : ملامحها وظروف تشكلها وتغيرها فى مصر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، الكويت ، العدد الثانى يونيو ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢ ٠

المستويات ٠ وهو ما ميز بدايات العصر الصناعى فى أوروبا والذى قام على أساس ميكانيكى ٠ وقد ظل هذا النسق النيوتونى الاطلاقى مهيمنا حتى جاء ( اينشتين ) بنسبيته الشهيرة ، والتى حولت المجرى فجعلته قائما على نسق متكامل آخر مغاير لرؤية العالم وتفسيره ، فأصبح لنسبية النظر والتفسير دورها المتجلى بوضوح فى كافة ميادين العلم والفكر الحديث ، بل والحياة بأكملها ، وغدت العلمية مقترنة بالنسبية ، مما جعل للمرونة – كبديل عن الدوجماتية والاطلاقية- مكانتها ودورها فى كافة الطروح ، ليصبح من يدعى امتلاك الحقيقة المطلقة مجرد واهم ذى فكر ورؤية غير سوية ٠

وفى الراهن يمر مفهوم النسبية ذاته بتحول ينزع نحو الإفراط ، ليصبح لدينا ما يمكن أن نطلق عليه النسبية المفرطة ، يحدث ذلك كأحد النتائج المترتبه على الفيض المعلوماتى ، حيث تصبح وفرة المعلومات عند درجة بعينها عاملا من عوامل الفوضى ، والحيرة ، واللاتحديد ، ويصير الحكم الفصل بصحة سلوك ، أو قرار ، أو ظاهره ، أو خطأهم جميعا أمرا عسيرا للغاية ٠ لقد تجاوز العالم الاطلاقية التى تقول إما هذا وإما ذاك فى حكم كلىشامل مطلق ، كذلك تجاوز مرحلة النسبية المنضبطة التى تعنى تعدد الآراء ، والرؤى ، والاتجاهات ، ليلج فى الراهن ، والمستقبل بدرجة أكبر ،.مرحلة الإفراط فى النسبية والتى تعكس تداخل الآراء ، والرؤى ، والاتجاهات ، كنتيجة لتعدد المصادر ، والأحكام ، والزوايا ، والثقافات ٠٠ ، إلى حد مذهل على نطاق كوكبى فى عصر المعلومات ٠ وظاهرة كهذه تعد من أكثر المفارقات التى تشهدها البشرية ٠ فالإنسان – بشكل عام – يجد صعوبة بالغة فى اتخاذ قرار ، أو اختيار محدد بشأن أشياء أو مسائل لاتتوافر لديه معرفة جيدة أو كافية بشأنها ، أو لنقل يجهلها ، كما وأنه يكون فى نفس الموقف الصعب تقريبا اذا توافرت لديه معلومات بالغة التنوع ، والغزارة ، والتناقض " فى أحيان عديدة " حول نفس الاشياء والمسائل !! وهنا تكمن المفارقة ، حيث يفضي شح المعلومات وفيضها إلى نفس النتيجة

تقريبا • وبالنظر إلى مصادر المعلومات ، كماً ونوعـاً ، يكـون التسـاؤل مشروعا بشأن الدور الذى تلعبه تلك المصادر المهيمنة فى حالات الفوضى العالمية الممكنة ، خلقاً وتوجيهاً وتحريكـاً ، مـا الأهـداف ومـا نوعيـة المصالح ؟[١]

٢- كذلك ينتقل العالم إلى مرحلة تفقد خلالها رؤيتنا ( للحـدود الفاصـلة ) دلالتها التقليدية السابقة • وهو ما يمكن رصده على عـدة مسـتويات ، نظرية وواقعية • فالحدود بين النظريات المختلفة ، والمجالات العلميـة المتعددة تتلاشى بدرجات ملحوظة " في حين تتنامي التخصصات التـى تقع على حدود العديد من العلوم والمداخل ، وهوما يتبدى جليـا فـى البزوغ القوى لما بات يعرف بالمداخل البينيـة Interdisciplinary ، والمتقاطعة Crossdisciplinary [٢] ، وهو ما يجعلنا نخلص إلي أننـا بصدد : انتهاء عصر النموذج الصرف :

The end of Pure model era ، لنلج عصر النماذج

المتمازجة : The Mixed Models era

نفس الأمر يمكننا ملاحظته على مستوى الواقع.الانسانى الملمـوس بدرجة أكبر ، حيث تتلاشى الحدود الفاصلة بين الدول بفعـل نظـم الاتصالات والمعلومات ، كما تتلاشى الحدود بين الأعمال وفقا للنوع ( الرجل والمرأة) ، حتى الحدود بين الأعمار وما يرتبط بهـا مـن خبرات تتلاشى لدرجة أن الأصغر سنا فى ظل نظم التعليم الحديثـة والتكنولوجيا.المتقدمة ، أصبح بإمكانه تجاوز الأكبر سنا ممن سـبقوه فى نفس المجال والأكثر خبرة فيما مضي ، نتيجة لتجدد العلوم كيفيا

---

[١] محمد عبد المنعم شلبى ، اوروبا الموحدة ونموذج اشتراكية المستقبل ، مجلة القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، نوفمبر ١٩٩٥ ، ص ص ٥ – ١٧ •

[٢] ضياء الدين زاهر ، كيف تفكر النخبة العربية فى تعليم المستقبل ، منتدى الفكر العربى ، عمان ، ١٩٩٠ ، ص ص ٥٣- ٥٦

فى مدى زمنى محدود وقياسي ، مما يجعل علوم السابقين متقادمة بالنسبة إلى علوم اللاحقين ، وبالنظر إلى ما تتطلبه العلوم المتقدمة فى الراهن من مرونة عقلية وديناميه ، وقدرة على التجدد المستمر ، تصبح فرص هؤلاء اللاحقين ( صغار السن ) أكبر من السابقين عليهم ( كبار السن ) ، وذلك ما يتعمق أثره حال ركون هؤلاء الكبار إلي معارفهم التقليدية وعدم لحاقهم بالثورة المعرفية الحالية التى تتزايد ويتسع نطاقها يوما بعد الآخر • وفضلا عن كل ما سبق ، نستطيع ملاحظه تلاشى الحدود الفاصلة بين الخيال والواقع ، والذى نجد أبرز تجلياته متحققة فيما يعرف " بالواقع المحاكى Virtual reality " وهوما يعد ثورة حقيقية ، وخرقا لكافة ما تعارفت عليه البشرية منذ وجدت ووعت ذاتها ، ولا يعلم أحد تحديدا حتى الآن مدى الامكانات الثرية التى يمكن أن ينطوى عليها تلاشى الحدود فى هذا المقام فى كافة المجالات ، من التعليم والصحة إلي السياحة والترفيه •

٣- وعلى مستوى أكثر اتساعا ، يدخل العالم فى كليته مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة " العالم المحاكى The Virtual world " ، والتى يتجاوز خلالها مفهومنا عن الوجود المادى الملموس ، التقليدى ، المحدود منطلقا صوب مرحلة يترافق فيها مع هذا الوجود التقليدى نوع آخر من الوجود الموازى " المحاكى " ، وهو يتسم باللا محدودية ، وبكونه اللامادى ، معتمدا فى جوهره على وسائط الاتصالات والمعلومات • وهو يتيح ، وبشكل مكثف وتراكمي ، خبرات واسعة بمجالات متعددة ، وبقيم ، ومعايير ورؤى ، وأساليب حياة مغايرة للسائدة فى الوجود التقليدى •

هذا التحول يتيح امكانية تخلق " وعى " يفترق عن الوعى التقليدى المحدود بحدود الوجود المادى ويتحرر من نطاقاته الضيقة • ذلك أن نطاق

الرؤية قد اتسع بشكل مذهل ، وأصبح بالإمكان معايشة نوعيات عديدة ومتباينة تماما من الخبرات فى ذات الوقت لإنسان واحد في فترة زمنية قياسية ، دون أن يبرح مكانه إلا قليلا ٠ وهنا يصبح التساؤل مطروحا بشدة حول الآثار المستقبلية المتوقعة لهذا ( العالم المحاكى ) الجديد على القيم والممارسات وأساليب الحياة ، ورؤى العالم ، إلي جانب التأثير الطاغى الذي سيمارسه – بطبيعة الحال – علي مفهومى : الزمان والمكان ، بحدودهما التقليدية ، وتأثير كل ذلك على تصورات الانسان ومفاهيمه [١] .

هذه التساؤلات – إلي جانب غيرها بالطبع – تنسحب كذلك على تأثير التحول الذى أصاب الرؤى المختلفة ، النسبية، والحدود الفاصلة، إلى جانب العالم المحاكى ، على مجمل أنساق القيم ، والتى هى فى جوهرها ما نتبناه من أحكام على الأشياء بغرض الاختيار من بين بدائل مختلفة ٠ فإذا كان الحال كذلك ، فإلى أي مدى يكون من الممكن الحديث بشأن الاتساق النسبى الذى من اللازم أن يتمتع به نسق قيمى بعينه فى مرحلة التحول هذه ؟ وإلى أي مدى يصير ممكنا،وجود نسق قيمى انسانى كونى Universal ، وآخر كوكبي ناتج عن عملية العولمة " الرأسمالية " بالتحديد ، بكافة ملابساتها ، والتى من بينها الحركات المضادة لها ؟

***ثالثا : القيم الانسانية الكونية :***

فى ظل هذا المشهد الثقافى العالمى الحافل بالتناقضات ، ما بين الكوكبي والمحلى من جهة ، والتداخلات التي تشهدها المنظورات والرؤى فى الحكم على الأشياء، مادية ورمزية ، من جهة أخرى ، وما يترتب عليه ذلك من صراعات عديدة يخبرها الانسان – بشكل عام – فيما يتعلق بالواقع المعاش وأنساق القيم المختلفة المتولدة عنه ، جرت محاولات عديدة من أجل

---

[١] محمد عبد المنعم شلبي ، الدراسات المستقبلية العربية ، تقويم نقدى وتصورات مقترحة ، ( في ): نيفين عبد المنعم (محرر): ندوة الدراسات المستقبلية العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ص ١٠٥ – ١١٢ ٠

التعرف على أهم وأبرز القيم الانسانية العامة المشتركة ، ذات الطبيعة الكونية Universal Human Values . ليس لهذه الأنساق القيمية الكونية من صلة بالقيم المتولدة بفعل عملية العولمة الرأسمالية ذات الطبيعة المغايرة ، بيد أنها تعد من قبيل المحاولات البحثية الهادفة إلى تلمس ما هو عام ومشترك بين البشر دون تفرقة • ونحن نعرضها في هذا المقام مع علمنا بأنها لاتغنى عن دراسة أنساق القيم الكوكبية " متعدية الجنسية " والتى تقوم فى الاساس على دراسة اللشرائح الطبقية المعولمة ، بغية التعرف على جدل الكوكبي والمحلى لدى هذه الشرائح والجماعات الطبقية ، بدلا من اصدار التعميمات الجارفة ، والتى لاتستند إلى الدراسة الواقعية الامبيريقية بقدر ما تستند إلى الرؤي والأحكام التأملية والايديولوجية •

وفيما يتعلق ببحوث القيم الكونية نجد أن هناك من الباحثين من أجرى أبحاثا تنصب على بعض المجتمعات ، فى حين توسع البعض الآخر منهم ليشمل بحثه ، أو مسحه ، عشرات المجتمعات فى جميع أنحاء العالم •

وقد كانت الفرضية السائدة لديهم منذ البداية " أن الناس تتشارك فى قيم عامة ، فى نفس الوقت الذى يتبنون فيه قيما أخرى مختلفة أو أنهم قد يتبنون نفس القيم بدرجات مختلفة [١]•

كما يعتقد البعض : أن المجتمعات البشرية والثقافات المختلفة لها العديد من السمات المشتركة ، متضمنة المشاركة فى بعض القيم الجوهرية التى تقترب من أن تكون كونية • حيث أن هناك بعضاً من التشابهات الأساسية فيما يتعلق بأحكام الناس على بعض الأمور لما يعد صوابا وما يعد خطأ • ولعله مما يدعم ذلك أيضا أن الناس وثقافاتهم متشابهين بالقدر الذى يسمح للبشر من ثقافة ما بالإتصال بثقافات أخرى وتعلم لغاتها ، وتفهم أساليب الحياة فيها • وبالرغم من أن هناك ثمة حواجز صعبة – فى بعض

---

[١] Peter Heller , Technology Transfer and human values, university of america, Boston, 1985, p:25.

الأحيان – تتعلق باللغة ، فإن الثقافات متشابهة إلي الدرجة التي تسمح بتجسير عمليات بناء التفاهم المشترك بين الناس وبعضهم البعض [١] .

* واذا كنا قد عرضنا وناقشنا فى السابق – بالتفصيل للعولمة من حيث مفهوماتها ، ومقارباتها النظرية ، وفعاليتها ، وخلصنا – فى عديد من المواضع – إلى أن جوهر قيم العولمة ، هى قيم الرأسمالية العالمية ذات النزوع الليبرالى الجديد ، والتى تركز على الربح ، والاستهلاك ، والمادية ، والذاتية ، والتسليع ، والوقتية ، والبراجماتية .. الخ ، فإن لنا أن نستعرض فى هذا الصدد نوعا آخر من المساهمات التى اجتهد بعض الباحثين والمفكرين فى طرحها بشأن رصد ما يمكن أن يطلق عليه : قيما انسانية كونية . حيث نعرض فيما يلى أبرز ما تمخضت عنه بحوثهم من نتائج :

١- وبداية نجد ( وندل بل w.Bell )يطرح أربعة قيم انسانية يعدها قيما جوهرية ، تتمثل فى : (١) المعرفة (٢) تقدير الذات (٣) العدالة (٤) التعاون .

وهو يقرر أن هذه القيم لم تجتز فقط اختبار الزمن الماضى ، ولكنها ربما تمثل الركن الأساسى بالنسبة للمستقبل الأفضل للبشرية .

٢- وطرح ( لازويل Lasswell) ثمانيه قيم واسعة النطاق مشتقة من مفهومه للكرامة الإنسانية . وكل قيمة منها مرشحة بقوة لأن تكون بمثابة قيمة كونية

هذه القيم تتمثل فى :

١) المشاركة فى القوة ٢) التنوير ٣) الثروة ( الكافية وليست الضخمة ) ٤) الحالة أو الوضعية الجيدة ٥) المهارة ٦) التأثير ٧) الاحترام ٨) النزاهة .

---

[١] W.Bell, Foundations of Futures Studies ( vol.2 ) Transaction publishers, New bunswick, new Jersy , 1997 ,ppL 171-173

ويري ( لازويل ) هذه القيم بوصفها فئات عامة تصلح لأن نشتق منها معظم القيم الأخرى لتنضم اليها ، كالقائمة المطولة للحقوق المدرجة فى العهد الدولى لحقوق الانسان الصادر عن الأمم المتحدة .

٣- كذلك صاغ ( نارول R.Naroll ) أربعة قيم افترض أنها تمثل الأسس القيمية للمجتمع الكونى المستقبلى ، وهى على النحو التالى :

١) السلام ( السلام العالمي ، تخفيض اعداد الجيوش الهجومية وأسلحة الدمار الشامل ، وجود قانون عالمى يتم تطبيقه دون الحاجة إلى قتل الشعوب ) .

٢) الانسانية ( جعل الناس ، كل فرد منهم ، مقياسا لكل من الخير ، والحقيقة ، والخير الأقصى المتمثل فى السعادة الارضية للبشرية ).

٣) التهذب ( وتتضمن فكرة الأخوة الممتدة للبشرية جمعاء ، حيث يساعد الناس بعضهم البعض ) .

٤) التقدم ( خصوصا فيما يتعلق بالقدرات المعرفية ، تلك التى تساعد الناس فى السيطرة على حياتهم ) .

٤- وهناك محاولة أخرى قام بها ( رشورت كيدر R. Kidder ) حينما توجه بالسؤال إلى أربع وعشرين رجلا وإمرأة من ذوى المكانة حول العالم بشأن ما قد تحتويه شفرة كونية للقيم فى رأيهم ؟ وعلى الرغم من أن المستجيبين كانوا متنوعين وينتمون إلى مجتمعات مختلفة ، فإنه قد وجد إجماعا على ثمانى قيم جوهرية ، وهى :

١) الحب ( متضمنا الاهتمام بكل الناس ، المساعدة المتبادلة ، والترفق بالآخرين ) .

٢) الحقانية ( وتتضمن كونك أمنيا ، محافظا علي وعودك ، صادق ، لاتسلك سلوكا خداعيا ) .

٣) النزاهة ( متضمنة العدالة ، اللعب النظيف ، المساواة ، مع ملاحظة أن اللامساواة هى في بعض الاحيان عدل ) .

٤) الحرية ( تتضمن التحرر والديمقراطية ) .

٥) الوحدة (تحتوى على المشاركة ، والتعاون ، والجماعية ، والتوحد مع الآخر ) .

٦) التسامح ( ويتضمن حدود طرْح قيمك على الآخرين ، واحترام كرامة كل شخص ، وحق كل شخص فى أن تكون له أفكاره الخاصة ( وذلك مع أهمية الانتباه إلى أن هناك حدودا على السلوك الذى ينبغي أن يكون محل تسامح ) .

٧) المسئولية ( تتضمن الاهتمام بالذات والآ خرين ، والاهتمام بمصالح المجتمع المحلى ) .

٨) احترام الحياة .

* وفضلا عن تلك القيم الثماني الاساسية ، عبر هؤلاء المستجيبون عن اهتمامهم بثلاثة قضايا معاصرة بشكل مختصر وهى : التناغم بين الأجناس ، واحترام حقوق المرأة ومساواتها بالرجل ، وحماية البيئة . وهى قضايا تعكس قيما كان من الممكن أن تضاف إلى سابقاتها لولا أنها لم تحظ بنفس الدرجة من الاتفاق حولها [١].

٥- وفى اطار تقسيم المجتمعات إلى ما قبل حديثة وما بعد حديثة ، يقرر ( لويك هالمان ) أن المجتمعات الحديثة وما بعد الحديثة تزداد فيها القيم

---

[١] Ibid: pp:172- 181

التى تنزع نحو الاستقلالية الفردية والاهتمامات الذاتية والميول الشخصية . حيث أصبحت الأهمية الأولى فيها للحرية الفردية ، كما أصبح الأفراد فيها أقل اعتمادا على المؤسسات التقليدية ، الاجتماعية والدينية ، فبدلا من الاعتماد على تلك المؤسسات وعلى توجهاتها ، أصبح الأفراد يتحملون مسئولية أفعالهم الشخصية ، ومسئولية اختياراتهم لأساليب حياتهم . ولهذا يتراجع أثر السلطة الجمعية لصالح الاستقلال الشخصي أو من أجله .

ويرصد ( هالمان ) مجموعة من القيم المترتبة على هذه الوضعية وهي المتمثلة فى :

١) الاستهلاكية ٢) العدمية ٣) النرجسية

٤) السعاده الحسية ٥) الأنانية ٦) الانعزالية .

* وهو يخلص إلى أنه لم يعد هناك نظام عام للمعايير والقيم ، ولذا تتنوع المصادر التى يستقى منها الأفراد قيمهم ، حتى أصبح كل فرد بذاته هو المرشد الأخلاقى لنفسه ، وأصبح وجود المعايير والقيم الأخلاقية الصارمة مستحيلا فى المجتمع الفردى الحديث [١] .

٦- وفضلا عما سبق ، هناك جهد آخر بذله رونالد انجلهارت R. Inglehrt عندما أشرف على مسح شامل للقيم حول العالم ، من خلال مشروع ( مسوح القيم العالمية The world values surveys وهو المشروع الذى شمل القارات الست المأهولة فى الاعوام ١٩٨١ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩٥ ، ٢٠٠٠ .

---

[١] لويك هالمان ، هل تتعرض الاخلاق للانحدار ؟ المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، العدد ( ١٤٥ ) ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص ص ٦٣-٧٠

وقد غطى المسح الأخير أكثر من ( ٦٠ ) مجتمعا يمثلون ما نسبته ٧٥% من سكان العالم ، بتنوعاتهم المختلفة ، ووفقا لمتغيرات متعددة، منها متوسط الدخل السنوى ، ونوعية نظم الحكم ، والنظم الاقتصادية .....الخ [١] .

وقد صمم هذا المسح منطلقا من فرضية عامة مؤداها : ان التنمية الاقتصادية تؤدى إلى حدوث تغيرات معينة فى قيم الجماهير ونظم معتقداتهم ، والتى تؤدى بدورها إلى تغذية مرتدة ، يتبعها إحداث تغييرات فى الانظمة الاقتصادية والسياسية فى هذه المجتمعات [٢].

وقد خلص ( انجلهارت ) من خلال المسح إلى تقرير أن العالم بصدد صعود نسق جديد للقيم ليحل محل نسق القيم الذى ساد خلال فترة المجتمع الصناعى ، وهو يطلق على تلك القيم الجديدة مسمى : " قيم ما بعد المادية " اتساقا مع تحول المجتمع الصناعى إلى ما بعد الصناعى ، والحديث إلى ما بعد الحديث.

ولعل من أبرز القيم التى بالإمكان استخلاصها فى هذا الصدد ما تمثل فيما يلى :

(١) الرغبة فى الابتعاد عن المظاهر الترفية والاعتدال فى الرفاهية الذاتية .

(٢) التأكيد على المثابرة والقدرات الابداعية ، بدلا من التأكيد على بذل الجهد الشاق فى العمل .

(٣) التعبير عن الذات بإنجاز عمل ذى معنى أو هدف .

---

[١] R.Inglehart, Globalization and Postmodern values, The washington Quarterly , winter 2000, P:215.

[٢] رونالد انجلهارت ، القيم المتغيرة والتنمية الاقتصادية والتغير السياسي ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد ( ١٤٥ ) ، سبتمبر ١٩٩٥ ، ص ١٠ .

(٤) قبول المعايير الذاتية فى العمل ٠

(٥) التأكيد على الخبرات النوعية فى العمل ٠

(٦) أولوية الأهداف الاجتماعية على معايير الانجاز ٠

(٧) التأكيد على المستقبل المهنى للمرأة ورفض افتراض أن المرأة فى حاجة إلى الاطفال ( الأمومة ) ٠

(٨) رفض افتراض أن الاطفال بحاجة إلى وجود أب وأم ( أسرة تقليدية ) لينشأوا فى سعادة ٠

(٩) الشك فى العلم والتكنولوجيا وقدرتهما على مساعدة البشرية وعدم الاضرار بها ٠

(١٠) أولوية التعبير عن الذات ، والمشاركة فى صنع القرار على كافة المستويات [١]

***استخلاصات وملاحظات اساسية :***

ثمة ملاحظات أساسية مستخلصة مما طرحه الباحثون بشأن القيم الانسانية الكونية ، لعل أهمها :

(١) انها تتسم بالعمومية والاطلاقية فى معظمها ، فهى عبارة عن مجموعة من القيم الفضفاضة ذات الطابع التأملى ٠ وقد تكون خصيصتى العمومية والاطلاقية ملازمتين للحديث عن قيم لها الصفة الكونية ، إلا أن محاولة الباحث لتوصيفها من خلال الانطلاق من تجسداتها المتمثلة فى التشكيلات والتكوينات الاجتماعية الطبقية ، وتجادلها مع بنية مجتمعة شاملة قد يمنحها المعنى والماهية ، فليس

---

[١] المرجع السابق ، ص ص ١٩ –٢٩ ٠

من المنطقى أن تختلف بنى المجتمعات ما بين متقدم ومتخلف ، فى حين يسود إجماع على نفس القيم • وكما تتباين المجتمعات فيما يتعلق بتقدمها أو تخلفها التنموى ، فإنها تتباين أيضا فى ثقافاتها العامة والفرعية ، ومن ثم تختلف التحديدات والمعانى التى تسبغها على تلك القيم ، فهى ليست موحدة فى معناها ومغزاها ، فضلا عن أولويتها بالنسبة لجميع أوحتي معظم الشعوب ، كما فى طرح ا لباحثين الذين عمومها – بهذه الصورة – على اعتبار انها قيما كونية يتشارك فيها جميع البشر ويتبنونها على اطلاقها •

(٢) كذلك نلاحظ أن ما طرحه معظم هؤلاء الباحثون لايعدو كونه مجموعة من القيم الانسانية العليا ، ومن ثم فهى لم تتعد مستوى المثال ، أما الواقع الممارس والمعاش فيفرض علينا قيما أخرى مغايرة ، تلك التى قد تختلف جذريا عن تلك المثالية • يدلنا على هذا أننا لم نجد من هؤلاء الباحثين من يناقش وجود قيم انسانية سلبية ، فيما عدا ( هالمان ) تقريبا ، فى حين أن غالبتهم قد تناول القيم بوصفها مثلا عليا ، ومن ثم فهى ايجابية على طول الخط •

(٣) وفضلا عن عمومية ومثالية القيم التى طرحت ، نجد أن أحد أبرز المساهمات فى هذا الصدد قد كشفت لنا عن مجموعة من القيم التى تتسم بخصوصيتها الملحوظة ، والتى لايمكن الانطلاق منها نحو التعميم على مستوى الكون ، واعتبارها قيما انسانية عامة • نرى ذلك فيما طرحه ( انجلهارت ) من قيم أطلق عليها : ما بعد المادية ، تلك التى لا تكاد تنطبق سوى على بعض الجماعات والشرائح الاجتماعية فى ا لمجتمعات الصناعية المتقدمة ، وقد تمتد الى خارجها بشروط خاصة تحتاج إلي المزيد من الدرس والتحليل •

* ورغم جملة الملاحظات التى من الممكن أن توجه إلى تلك المساهمات ، يظل لتلك المساهمات قيمتها المقدرة ، والتى يمكن الانطلاق من بعضها والتأسيس عليه بقدر أكبر من الاحكام النظرى والمنهجى • يتحقق ذلك من خلال رصد القيم انطلاقا من عوامل ومحددات موضوعية ، كأن تكون التحولات البنائية الكوكبية الراهنة ، والتى تفضى ، في تفاعلات أبعادها – الاقتصادية والسياسية والايديولوجية – الى تبلور تشكيلا ت اجتماعية وتكوينات طبقية ذات خصائص نوعية • ومن خلال دراستنا لتلك التكوينات والظروف المحيطة بها ، نستطيع أن نخرج فى نهاية الأمر ، وبقدر أكبر من التحديد والوضوح بما يمكن ان يكون بمثابة أنساق للقيم الكوكبية المنتسبة إلى تلك التكوينات الكوكبية المتحولة • تلك الأنساق التى تعد قلب بنية الوعى الكوكبى فى المرحلة الراهنة •

obeikandl.com